المشاركة بورقة علمية في ندوة (عاتق البلادي – وقفات في رحلة البلدان والأنساب والتاريخ)،

نظمها نادي مكة الثقافي الأدبي.

الأربعاء ١٤٤٠/٥/١٠هـ الموافق ٢٠١٩/١/١٦م.

أنموذج لرحلة بلدانية

كتاب (بين مكة واليمن رحلات ومشاهدات)

الطبعة الأولى

١٤٠٤هـ-١٩٨٤م

عرض وتحليل

إعداد

د. محمد بن حسين الحارثي الشريف

مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: ملامح عامة لمنهج عاتق البلادي البلداني:

١- كان يجمع في منهجه البلداني في غالب الأحيان بين حداثة وحيوية المعلومات.

٢- اتبع الأسلوب الوصفي نظراً لشيوعه في فترته وزمانه؛ فاعتمد الوصف المبني على التحليل والاستقصاء العام للمعلومات.

٣- ضمت رحلته الكثير من المعلومات التاريخية والجغرافية والنسبية.

٤- تجلى إبداعه في كتابه من خلال مزجه المتوازن بين الجغرافية والتاريخ والأنساب.

٥- ومن خصائصه استخدامه للشواهد الشعرية وتوظيفها خدمة لأغراضه البلدانية.

٦- قسم موضوعاته حسب المنهج البلداني الذي اعتمده جل بلداني زمانه؛ مترسماً خطى سابقيه ومعاصريه.

٧- صنف القرى على أساس الحجم والكثافة السكانية والنشاط الاقتصادي.

٨- اتصفت معلومات كتابه بالموسوعية فضلاً عن رشاقة جمله وجزالة ألفاظه، وسهولة معانيه.

٩- عمل على توظيف المعلومة لصالح المجتمع وحاجاته المادية والمعنوية.

ثانياً: أسباب قيامه بهذه الرحلة:

حيث يرى:

١- أن هذه المنطقة لم تحظ بالدراسة الوافية منذ القدم.

٢-نشأة مدن وقرى في الأزمنة المتأخرة.

٣-ندرة الكتابة عن قبائل تلك الديار.

٤-الكتابة عن الطرق بذكر ما ذكره المتقدمون.

ثالثاً: منهج عاتق البلادي في كتابه أو رحلته (بين مكة واليمن رحلات ومشاهدات):

١-المشاهدة والوصف الحي لما يرى صاحب الرحلة.

٢-روايات الناس ومقابلاتهم وعاداتهم.

٣-إحصاء تفريغي للقبائل الواقعة في دائرة البحث لم يُسبق إليه.

٤-دراسة ميدانية جغرافية مركزة.

٥-سجل استفادته من عدد من الأعلام والأعيان والباحثين في تلك المناطق الممتدة من مكة إلى اليمن. (ومنهم: قائم مقام العاصمة آنذاك، وأمير الليث، ووكيل إمارة غميقة، وأمير العرضية الشمالية وآخرين).

رابعاً: المساحة الجغرافية للرحلة:

تمتد من مكة شمالاً إلى الحدود مع الجمهورية اليمنية، بطول ٧٦٠كم، وعرض ١٠٠-١٢٠ كم بين السراة شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً. وتشمل ثلاث إمارات في تلك الفترة.

١-إمارة الليث.

٢-إمارة القنفذة.

٣-إمارة جازان.

أهم المدن في رحلته: الليث-المضيلف-القنفذة-حلي-البرك-القحمة-الشُّقيق-بني شعبة-أم الخشب-بيش-صبيا-جازان

ابتدأ حديثه بالأودية، حيث ذكر عدداً منها انطلاقاً من وادي عُرنة ثم وادي ملكان حتى وادي جازان بفروعه المتعددة، ثم وادي خلب إلى وادي حرض.

يشرح ويوضح مسايل هذه الأودية حيث يقول: تسيل من السراة أو جبال تهامة الملاصقة للسراة من الغرب ثم تصب في البحر.

يذكر أحياناً سكان بعض المناطق قديماً كخلفية تاريخية، مثال: كالأشعريين وعك وخولان والأزد وغيرهم.

تاريخ انطلاق الرحلة:

صباح يوم الإثنين ١٤ صفر ١٤٠٣هـ الموافق ٢٩ نوفمبر ١٩٨٢م.

ويبدأ بتعريف وادي عُرنة، فيقدم المعلومة التاريخية والشواهد الشعرية، مشيراً إلى سكان هذا الوادي وما يليه من القبائل العربية كهذيل والأشراف وخزاعة.

ثم ينتقل إلى ملكان فيستخدم **جملاً رشيقة وألفاظاً جزلة ومعانٍ سهلة** تعكس ولا شك ثقافته الأدبية ومعارفه الجغرافية.

حقق في هذه الرحلة وفي جميع مقالاته وبحوثه فيها المزج المتوازن بين الجغرافية والتاريخ الحضاري، معتبراً الجغرافية إطاراً مكانياً، ووعاءً للتاريخ بأبعاده المختلفة.

ويتحدث عن الشعيبة قائلاً: شبه جزيرة على الشاطئ الشرقي لهذا البحر وتقع إلى الغرب من شامة وطفيل، ثم يذكر بما شاع وانتشر في أيامه من تسميته (ببحر مكة)، ودعوى شق قناة منه إلى مكة، مبيناً استحالة ذلك: وما درى هؤلاء أن مكة ترتفع عن سطح البحر (٣٥٠م)! فأية فائدة من هذه القناة، منتقداً هذا الرأي، ويسأل أيهما أصلح لمكة الشعيبة التي تبعد (١١٠كم) أم جُدة التي تبعد (٧٣كم). ثم يعرج على التاريخ لذلك الميناء.

ويستمر في شواهده الشعرية عن جبال سطاع وشامة وطفيل، ثم يذكر ما تعارف عليه العرب؛ أن كل جبل يفترق رأسه إلى رأسين كغزالي الشداد يسمونه أبو شدادين، وهي كثيرة في بلادهم.

حتى يصل إلى شامة وطفيل فيورد ما أنشده الصحابي الجليل بلال بن رباح رضي الله عنهما فيهما:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً * بفخ وحلي إذخر وجليلُ**

وهل أردن يوماً مجنَّةٍ * وهل يبدُون لي شامةٍ وطفيلُ.**

ويمر بوادي الأبيار مازجاً بين التاريخ والجغرافيا والأنساب، فيذكر اختلاط سكانه من الجحادلة من بني شعبة والأشراف العبادلة.

منطلقاً إلى وادي يلملم فيذكر أن في صدوره قبائل بنوفهم وبقية بني صاهلة من هذيل وأسفله الجحادلة وروافده الشمالية من ديار هذيل.

ولم يقتصر على التاريخ والجغرافياً والأنساب بل عرج على الآثار التي تقع عليها عيناه، وفي إشاراته الآثارية ملامح علمية للباحثين من طلاب الدراسات العليا في جامعتنا والعاملون في مجال السياحة، لاستكمال ما أثاره الشيخ تلميحاً أو تصريحاً وتوضيحاً، فعند مروره بوادي مركوب وسكانه من الجحادلة، يذكر أنه وجد جداراً مدفوناً بُني بحجر غير مشذب وبلا مؤنة وكومة من الأرض تدل على حفر.

وعندما يتحدث ن الليث يبين أن الليث ليثان؛ وادٍ وبلدة، ولها ميناء يستقبل السفن وترد إليه البضائع من جُدة واليمن والسودان، وبه حركة لصيادي الأسماك.

ثم يقدم تحليلاً تاريخياً عن **نشأة الليث** وظهور عقب زوال **ميناء السرين**.

ولا ينس أن يذكر أسماء بعض النباتات والأشجار لكل وادٍ مر به.

ويذكر في وادي تَبْشع عين حارة يكاد ماؤها يغلي، يزورها الناس للاستشفاء.

أبلغ هذيلاً وأبلغ من يبلِّغها *** عني حديثاً وبعض القول تكذيب

بأن ذا الكلب عمراً خيرهم حسباً *** ببطن شريان يعوي حوله الذيب.

شريان: ثنية تطلع من جذم على الأزحاف في يلملم، والقائلة امرأة هذلية، وعمرو ذي الكلب أخاها.

ثم يتحدث عن سكان الليث البر والبندر، من قبائل وأسر، من الأشراف وبنو فهم وكنانة وبجيلة بشكل مفصل. ثم تراه يوضح ما قد يقع من تداخل في الانتساب إلى بعض القبائل كالأحلاف، ولكنه وخروجاً من الخلاف يقيد معلوماته بـ لعله كذا، والله أعلم.

ثم يقدم دراسة نسبية تحليلية عن (قيس بن عيلان).

وتجده يوضح ما تغير من المسميات للمعالم، ومن ذلك قوله: وادي عيار، ويسميه المتقدمون أعيار.

وكما سبق وأن ذكرنا في ملامح منهجه البلداني، أن الشيخ ترسم خطى سابقيه ومعاصريه من حيث تقسيم مادته البلدانية، ولكنه أيضاً وكما بينا وسنبين تميز بمادته النسبية وتنوع مصادرها.

وحين يذكر البُزواء يقول عنها: وتسمى اليوم الوسقة لأنه حزم مرتفع بين عيار وحلية، والبزواء في اللغة ذات الصدر البارز.

وعند حديثه عن **السرين**، يذكر أنها بلدة قديمة على مصب وادي حلية، ثم يحفظ للتاريخ أن الباحث والمؤرخ الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه رحمه الله من أهالي القنفذة، له عناية بآثارها وكل تهامة.

ومن منهج الشيخ النسبي الإسناد في رواياته عن الأسر والقبائل المعاصرة ما أمكنه ذلك منطلقاً من المبدأ الشرعي (من أسند فقد أحال، ومن أحال فقد برئ).

وهنا دعوة للباحثين المهتمين بتاريخ وجغرافية وآداب تهامة أن يطلعوا على القصيدة التي ضمنها الشيخ عاتق رحلته لأبي الحياش الحِجْري من الحجر بن الهِنو، لأنها تحوي المواضع بين مكة واليمن.

وبالتأكيد لن ينس الشيخ عاتق أن يمر **ببلدة عشم الأثرية**، فيذكر أن بها آثار بيوت وحصون بالحجر الجاف، وبها آثار منها من نوع الأواني الحجرية وكسر من الخزف والزجاج القديم، وتحيط بها مقابر كثيرة وعلى بعضها شواهد منقوشة.

وعن **القنفذة** يتوسع في الحديث، ولم يفته أن يذكر أن لنساء القنفذة عادة اجتماعية محببة إليهن ألا وهي خضب أقدامهن بالحنا.

وكذلك الحال عند حديثه عن جازان المنطقة المترامية الأطراف الثرية بخيراتها وآدابها وثرواتها. وقد استفاد من مؤرخها الشهير العقيلي رحمه الله وبعض أعيانها من المسؤولين ومن رافقه للوقوف على تلك المعالم والمواقع.

تلك مجمل موضوعات الكتاب القيم، وتلك الرحلة الموفقة.

والله الموفق.

د. محمد بن حسين الحارثي الشريف